معهد فلسطين للدراسات الاستراتيجية
Palestine Institute for Strategic Studies

تقدير موقف استراتيجي

Saturday, July 2, 2022

ترميم العلاقة بين حركة حماس والنظام السوري دو افع ومآلات

شارك في الاعداد

أ. رامي خميس الشقرة

أ. محمد عودة الأغا

أ. سامي الشاعر

أ. أمين بركة

اصدار

معهد فلسطين للدراسات الاستراتيجية

2022

ترميم العلاقة بين حركة حماس والنظام السوري دوافع ومالات

الخلاصة

إن موسم عودة العلاقات بين المتناقضات في السياسة الإقليمية يستوجب من الحركة بلورة مشروع مصالحة يربط جبهات الصراع في إطار تشاركي كأولوية للمرحلة، وهذا ما ينبغي أن تذهب إليه قوى المقاومة الفلسطينية مجتمعة، وعلى رأس هذا الأمر حركة حماس بعزيمة قوية وخطوات واثقة لما تشكله المرحلة من منحنى خطر على القضية الفلسطينية، واعادة رسم الاصطفافات في المنطقة يضعف مساحات البقاء في المنطقة الرمادية والتقدم نحو فعل تصليب لقدرات المقاومة وتنفيذ استراتيجياتها لتوسيع ساحات الصراع مع العدو.

مقدمة

تطورت علاقة حركة حماس بالنظام السوري تطوراً تدريجياً، ووصل الى ذروته قبل انطلاق الثورة السورية، وقد وفرت تلك العلاقة ملاذاً آمناً لقيادات الحركة بكافة مستوياتها، بل تعدت إلى الرعاية والاهتمام والدعم الكبير لوجستياً وسياسياً وأمنياً وعسكرياً، حتى وصلت إلى حد التحالف المشترك ومع وجود حالة التباين القوي مع جماعة الاخوان المسلمين الرافضة للعلاقة، وموقف النظام من جماعة الاخوان وحالة الشك والريبة التي سبقت بناء العلاقة لارتباط حركة حماس بالإخوان، وبعد الثورة السورية وصلت العلاقة بين الطرفين إلى القطيعة مع نهاية عام 2011، بناءً على موقف الحركة، أو ما يمكن تسميته بـ "لا موقف" الحركة من الثورة السورية، وتمايزت في موقفها عن بقية المنظمات الفلسطينية المقيمة في دمشق، وإنْ كانت الحركة لم تُصدِر بالمقابل موقفاً واضحاً داعماً للثورة السورية.

وفي ظل ما يجري حالياً عملية تركيب لحلف جديد او ما يسمى بالناتو العربي (الاسرائيلي الامريكي العربي) مما يجعل ربط جبهات الصراع في إطار تشاركي أولوية المرحلة، وهذا ما تذهب إليه قوى المقاومة الفلسطينية مجتمعة، وعلى رأس هذا الأمر وجوب مضي حركة حماس بعزيمة قوية وخطوات واثقة لما تشكله المرحلة من منحنى خطر على القضية الفلسطينية واعادة رسم الاصطفافات في المنطقة وانحسار اللعب في المنطقة الرمادية وذلك التشكيل الذي لم يعد يهتم بالوجدان العربي وقواه الحية.

أولاً: الأهمية الجيوستراتيجية لاستعادة العلاقة مع النظام:

ما تشهده المنطقة من إعادة تشكل للمشهد في اتجاهات واضحة ومعروفة قائمة على محورين مرتبطين بكتلتين دوليتين بالرغم من الاختلافات والتجاذبات فالولايات المتحدة وبعد الحرب الروسية الأوكرانية تتحرك لتشكيل كتلة مهمة قائمة على حماية مصالحها في الشرق الوسط وضرورة تامين الموارد النفطية وسبل حماية الغذاء تحت الاطار التخادمي التي تعمل عليه استراتيجيتها في تأمين مساحات نفوذها وتسكين مناطق التفاعلات وخصوصاً أن أوروبا دائرة الاهتمام الأولى لديها بالضافة الى جهدها بخنق التوسع الصيني والتي تتقاطع مع رؤية الكيان الصهيوني وعمله بكامل قوته من أجل تركيز وتثبيت مصالحه متجانساً مع دوره في تعظيم هذا الدور الذي يعزز تواجده أمنياً وعسكرياً واقتصادياً عبر التطبيع وفق اتفاقات ابراهام ليتعدى تشكيل التحالف العسكري ضمن مسارات سابقة وبرامج ممتدة.

وبمتابعة المشهد الاقليمي يلاحظ غياب الظهير العربي لسورية وفقدانها لعمقها العربي وتحول أزمتها الداخلية الى عملية التدويل وساحة مفتوحة للتدخلات الأجنبية وضياع مركز القوة السيادية للسلطة وتشتيتها إقليمياً وقابلية التحالفات على الأرض ومحاولة الاغراء الأمريكي لسورية بغض الطرف عن تشكيل علاقات اقتصادية رغم وجود قانون قيصر الأمريكي وتمرير مشروع الغاز المصري المار بالأردن وصولا الى لبنان في محاولة لقطع الطريق على ايران لمد لبنان بالطاقة تدعيما لموقف حزب الله السياسي كل ذلك ينبئ بتغيرات كبيرة يتم التخطيط لها في سورية خصوصاً بعد استقرار الواقع السوري الجيوسياسي والاستراتيجي على خارطة السيطرة للأطراف كافة والتي وزعت بين فصائل المعارضة بنسبة سيطرة وهي 10.98% من الجغرافيا السورية فيما يحافظ النظام السوري على نسبة سيطرته وهي 63.38% من سورية، وبموازاة ذلك حافظت قوات سورية الديمقراطية "قسد" على نسبة سيطرتها وهي 25.64% من الجغرافيا السورية، ولم تعد سورية حكراً على النظام نفسه فهناك حضور ميداني استراتيجي لإيران وروسيا (ميدانياً لها 27 قاعدة عسكرية متمركز في شمال ووسط سورية والجنوب المحاذي لفلسطين) والولايات المتحدة الامريكية (ميدانياً لها 25 قاعدة عسكرية متمركزة في الشرق السوري والحدود العراقية السورية) وتركيا.

التفكير الاستراتيجي للمقاومة الفلسطينية برسم مسار لتوسيع مساحات الفعل المقاوم بتحويل مناطق الطوق طريق اليمن سورية إلى حواضن جغرافية وجيو سياسية وبشرية لمشروع المقاومة في فلسطين ضمن استراتيجية المقاومة بين دول الطوق وبناء المحاور.

ثانياً: الدوافع والمصالح المشتركة بين حركة حماس وسورية

أمام الحديث عن عودة العلاقات مع سورية بعد عشر سنوات من القطيعة يستوجب النظر في الدوافع والمصالح المشتركة باعتبار أن العلاقات بين الدول والجماعات تقوم على أساس المشترك الجامع بينهم:

1. مصالح حركة حماس:

- وجود حماس في سورية يعزز موقعها في محور يدعم المقاومة ويشمل ندا لمحور إسرائيل المعادي لشعوب المنطقة ويضم عددا من دول عربية مهمة.
- إن حماس، كمقاومة، بحاجة للعودة إلى دمشق، ففي ذلك تعزيز لدورها الكبير في محور يتجهز للمواجهة الكبرى القادمة، وهي بهذه العودة تؤمن ظهرها، كما أن هذه العودة تجعلها تنسجم مع نفسها وأهداف وهي العمق العربي الاستراتيجي لها وهو ما يوجب التخطيط لأبعد من استعادة العلاقات مع النظام.
- إعادة تموضع حماس سيرفر بيئة جديدة لقيادتها في الخارج في ظل توقعات حدوث متغيرات سياسية في الساحة التركية، وضغوط فوق العادة على قطر، وسيسمح وجود حماس في سورية لإعادة رسم الخط الهلالي الدعم المقاومة، والاستفادة مرة أخرى من مزايا العلاقة مع سورية في حال عادت سابق عهدها.
- توسيع علاقات الطرفين الاستراتيجية خاصة أن حماس بحاجة لزيادة علاقاتها ما من شأنه أن يخدم القضية الفلسطينية، وهو ما عبر عنه رئيس المكتب السياسي لحركة حماس الأخ إسماعيل هنية في كلمته التي وجهها إلى مؤتمر جامعة الأمة بتاريخ 19 يونيو 2022.عندما أكد على ضرورة عقد مصالحات تاريخية في المنطقة، واتساقا مع موقف حماس يأتي الموقف السوري الذي يسعى إلى تعزيز علاقاته والانفتاح على الآخرين خاصة في ظل المقاطعة الدولية التي يتعرض لها.
- التغير في الواقع السوري وجغرافيتها السياسية تدفع حركة حماس لاستثمار متاخمة سورية لحدود فلسطين، ولا بد من أن يكون للحركة علاقة مع كل ذوي النفوذ بالمنطقة وكذلك التبدل بالخريطة الدولية، يدفع حركة حماس لإعادة حساباتها فيما يخص العلاقة مع سورية.

2. مصالح النظام السوري من عودة العلاقة:

- تشكل حماس ورقة مهمة لترويج النظام لنفسه في الساحة العربية والإسلامية بأنه الداعم أو الحاضن المهم لأكبر حركة مقاومة فلسطينية.

- حماس لها حضور شعبي عربي وإسلامي وهو ما يريده النظام في سورية لمغازلة الشعوب بعد ما وقعت من أحداث.
- حضور صورة النظام ضمن محور يدعم حرية الشعب الفلسطيني ويعادي القطب الأمريكي الإسرائيلي سيعزز من مكانته بين أطياف كبيرة من شعوب المنطقة إلى حد ما.
- قد يتفهم ويشجع النظام عودة العلاقة مع حماس بعد أن مهدت له العلاقة مع إيران وأتباعها في المنطقة والعلاقة مع روسيا الحليف الأقوى له.

ومن خلال تحليل البيئة السورية الداخلية والخارجية يمكن القول:

- أتي خيار العودة المنتظرة لحركة حماس إلى دمشق في أصعب ظرف تاريخي في سورية، فهي تعاني داخلياً من انتشار الفقر الشديد الذي تجاوزت نسبته 90% من مجمل سكانها ولاجئيها في المخيمات، وانحسار آمال السوريين بتحقيق مستلزمات الحياة الأساسية، بديلاً من أي أحلام سياسية ووطنية، وهم يشاهدون كيف يشارك اقتصاد الظل بحصارهم عملياً، مع العقوبات الأميركية وقانون قيصر.
- يتسق ذلك مع انحسار آمال دمشق بانفتاح عربي وخليجي يمكن أن يساهم في اجتياز الضغوط الاقتصادية الهائلة، بعد الإشارات الإماراتية والسعودية التي لم تُترجم وعودها، بل عادت إلى المربع المعتاد، بعد عودة الانفتاح على الرئيس التركي أردوغان، رغم الصراعات الهائلة بينه وبين زعماء هذه الدول، والسير السريع نحو تعويم "إسرائيل" ككيان طبيعي في المنطقة وتسييدها عليها، ما قلَّص الرهانات على دول الخليج ومصر.
- وقد زاد صعوبة الموقف السوري هو الحرب الروسية–الأميركية في أوكرانيا، وما تركته من آثار اقتصادية سلبية في العالم، وخصوصاً على صعيد الطاقة والغذاء، ما زاد تكاليف تأمين النفط والقمح وغيرها على دمشق.
- قد تكون الفترة القادمة هي الأخطر في تاريخ المنطقة، مع زيارة الرئيس الأميركي جو بايدن بعض دولها، وهدفه الأساس إعادة تشكيل المنطقة عبر البوابة الإسرائيلية، وبناء نظام إقليمي مرتبط بالولايات المتحدة لمواجهة المشروعين الأوراس والصيني، إضافة إلى إيران.
- هذا النظام الإقليمي ليس سوى حلف قديم متجدد، يشمل كلاً من السعودية والإمارات العربية المتحدة ومصر وتركيا والأردن والبحرين، إضافة إلى "إسرائيل"، التي ستُترك قيادة هذا الحلف لها. وقد استبقت "إسرائيل" ذلك بقرار نشر منظومات دفاعية خاصة بها في دول الحلف الجديد، بإدارة أميركية، وأغلب

هذه الدول أدت، وما زالت تؤدي، دوراً مدمراً في سورية، ما عدا مصر التي لا تملك هامشاً للحركة والمناورة. وفي حال إعلانها الحلف، ستكون سورية أولى ضحاياه.

- تأتي خلفيات التصعيد الأخير للولايات المتحدة في المنطقة انطلاقاً من إدراكها حجم مخاطر نجاح التحالف الروسي الصيني الإيراني في زعزعة مكانتها الدولية كقطب وحيد للعالم، من خلال الصراع على أوروبا، ودور سلاح النفط والغاز في حسم الانتقال نحو النظام الدولي الجديد.
- من هنا تأتي أهمية الصراع على غاز شرق المتوسط الذي يمكنه أن يملأ جزءاً من الفراغ الذي يُخلِّفه إغلاق أنابيب الغاز الروسية. هذا الصراع الكبير يرفع مستوى التهديدات لبقاء الدولة السورية، إضافة إلى المحاولات المستمرة للقضاء على قوى المقاومة في لبنان وفلسطين واليمن والعراق، بخطة شاملة تقودها الولايات المتحدة وتديرها للسيطرة على عصب الحياة المدنية وممراته.
- من هنا، تأتي أهمية سورية كممر وحيد للغاز الإسرائيلي وغاز شرق المتوسط بكامله، والذي لن يتم حل مشكلة استخراجه ونقله إلا بالقضاء على سورية واستقطابها ضمن النظام الإقليمي الجديد المُزمع إنشاؤه. من هنا تأتي أهمية عودة حركة حماس إلى دمشق، التي لا تستطيع أن تنظر إلى فلسطين إلا باعتبارها جزءاً من جغرافيتها السياسية المسلوبة، مهما كانت طبيعة النظام السياسي فيها، وفي ذلك تعزيز لمكانة دمشق في الصراع الإقليمي والدولي الكبير، واستعادة لجزء من دورها الإقليمي المفقود، وهي بحاجة ماسة لكلّ مصادر القوة، كما أنها بأمس الحاجة لتغيير مسارات الداخل الذي ينسلُّ من بين أصابعها.
- انسحاب أمريكا من العراق وبعدها أفغانستان أحدث فراغا في المنطقة وحرك مخططات رغائبية لقوى أخرى مثل روسيا وحلم العودة للإمبراطورية والصين الذي يمثل تنينا اقتصاديا مؤثرا في العالم، وهو ما يعني بالضرورة تشكيل قطبيات جديدة، المنطقة العربية جزء منها، إما قطبين وهو الأقرب أو متعدد الأحباب وهو ما يستبعد.
- زيادة وتيرة اتفاقات التحالف مع إسرائيل وتقديره صديقاً وشريكاً في المنطقة عبر اتفاقات أبراهام وزيادة حجم التطبيع وهو ما يهدد أمن المقاومة ومستقبلها.
- تزايد حدة مخاطر الاستفراد بإيران مع وصول مفاوضات الاتفاق النووي لطريق مسدود وتوجيه اتهامات صريحة من وكالة الطاقة الذرية لإيران أنها تخفي معلومات عن أماكن التخصيب ونسبته.

ثالثاً: السيناريوهات الثلاث المتوقعة

1. التوجه بالعلاقات المباشرة والسريعة بين حركة حماس والنظام السوري

وهذا السيناريو هو الأكثر نفعاً ومصلحة لحركة حماس والنظام السوري معاً على قاعدة أن حمى الوقت والاصطفافات الدولية والإقليمية لا تسمح بالتأخر والبقاء على الحال سيبقي المقاومة في دائرة المفعول به.

2. تجميد وإبقاء العلاقات بين حركة حماس والنظام السوري على حالها

وهو سيناريو اضعاف للمقاومة الفلسطينية وتحركاتها القوية لدائرة الفعل الثوري وتنفيذ لاستراتيجيات الحركة التحررية وهو نجاح لمسار التحالف العربي الإسرائيلي الجديد والذي لا يرغب بتقدم الحركة في مساحات استراتيجية لها وتقديم حماس كفاعل أساسي في المنطقة.

3. التهيئة لعودة العلاقات بين حركة حماس والنظام السوري لفترة زمنية طويلة

ينطلق السيناريو من مراكمة التحرك نحو التهيئة الداخلية والخارجية لإعادة العلاقات مع النظام وفق آليات يمكن أن تعطل مسير المصالحات السياسية التي تقوم بها قيادة حركة حماس وتصفير المشاكل مع الجوار.

معهد فلسطين للدراسات الاستراتيجية